

## فقه العلاقات البشرية "عبر ديوان" أغوار النفس "الكتاب الرابع:

### "قراءة في نقد النص البشري للمعالج" الفصل الرابع: "عن ماهية الحياة" لدى المعالج، فالمعالج (1)

نشرة "الإنسان" 2023/12/09

العدد: 5943 - المنة السادسة عشر



[yehiatrakhawy@hotmail.com](mailto:yehiatrakhawy@hotmail.com)

بروفيسور يحيى الرخاوي - الطب النفسي، مصر



#### مقدمة:

يبدو هذا الفصل أقل ارتباطاً بالنص البشري للمعالج، مع أن المتن ورد ضمناً في نفس الديوان الأصل "أغوار النفس"، وقد كدت أرحل هذا الجزء إلى عمل آخر لكنني انتبهت فجأة إلى أن "النص البشري" للمعالج والمتعالج على حد سواء □ يقرأ □ ويُقد منفصلاً عن موقفه الأعمق فالأعمق بالحياة عامة، ثم إنني لاحظت أن قصائد هذا الفصل تكاد تشارك في التنبيه إلى رفض فكرة أن العلاج النفسي هو نشاط معقلن أو علاج بالكلام، فهو حوار جدلي بين مستويات الوعي معا كما أشرنا إليه في الفصول السابقة.

هذا وقد تذكرت كتاباً أعجبت به يوماً وهو كتاب "علاج القبول والالتزام **Acceptance and Commitment Therapy (ACT)** سنة 2009 لمؤلفه **Steven C. Hayes** وهو يمثل الموجة الثالثة من تطورات "العلاج المعرفي" وله عنوان فرعي هو "أخرج من عقلك إلى حياتك"، فوصلني دعم لفكرة أن العلاج النفسي كما أحاول تقديمه هو "خروج إلى الحياة"، وهذا عندي يبدأ بالتنبيه إلى التخفيف من غلبة نشاط ما أسميته "عضلة العقل"، وإلى مزيد من رفض "مكلمة التفسير النفسي والتأويل التحليلي"، الأمر الذي شجعتني أن أبقى هذا الفصل ضمن محاولة الكشف عن موقفى "الشخصي" من هذه القضية، و"ماذا تعنى الحياة عندي" - فهي هكذا تصل إلى مرضاى طوعاً أو ضمناً وهكذا تكتمل صورتى أمامهم بشكل أو بآخر وهو هدف هذا العمل!!

حين بدأت تقييم موقفى العلاجى من واقع معاشتى لمرضاى كان التحدى الأساسى الذى وجدت نفسى فى مواجهته هو دعم الحياة ضد الموت (السلبى الثنائى النهائية)، فمررت بمراحل التعرف على "ما هو حياة"، مما يمكن أن يكون فى تقديمه ما يوصل رسالة الحركة والمراجعة التى كانت خطوطها العريضة كما يلي:

1- رأيت فى البداية أن الحياة تمثل "التقدم/القتحام"، فى حين يمثل الموت التقهقر "التراجع/النكوص" فكنت أرى الفصام يمثل الموت مثلاً من حيث إنه نكوص فتحلل، فيكون علاجه هو استرجاع التماسك للتقدم.

2- ثم انتبهت إلى أن الحياة هي النبض الحركة فى مقابل أن الموت هو السكون، فانتقلت من

يبدو هذا الفصل أقل ارتباطاً بالنص البشري للمعالج، مع أن المتن ورد ضمناً فى نفس الديوان الأصل "أغوار النفس"، وقد كدت أرحل هذا الجزء إلى عمل آخر لكنني انتبهت فجأة إلى أن "النص البشري" للمعالج والمتعالج على حد سواء لا يقرأ ولا يُقد منفصلاً عن موقفه الأعمق فالأعمق بالحياة عامة

تذكرت كتاباً أعجبت به يوماً وهو كتاب "علاج القبول والالتزام" **Acceptance and Commitment Therapy (ACT)** سنة 2009 لمؤلفه **Steven C. Hayes** وهو يمثل الموجة الثالثة من تطورات "العلاج المعرفي" وله عنوان فرعى هو "أخرج من عقلك إلى حياتك"

أن العلاج النفسى كما أحاول تقديمه هو "خروج إلى الحياة"، وهذا عندي يبدأ بالتنبيه إلى التخفيف من غلبة نشاط ما

أسميته "مخلة العقل"، وإلى مزيد من رفض "مكلمة التفسير النفسى والتأويل التحليلي

حين بدأتُ تقييم موقفى العلاجى من واقع معاشتى لمرضى كان التحدى الأساسى الذى وجدته نفسى فى مواجهته هو دعم الحياة ضد الموت (السلبي الثنائى النضائى)، فمررت بمراحل التعرف على "ما هو حياة

وأبىء فى البداية أن الحياة تمثل "التقدم/الافتحاش"، فى حين يمثل الموت التقهقر "التراجع/النكوص" فكنت أرى الفصام يمثل الموت مثلا من حيث إنه نكوص فتجلى، فيكون علاجه هو استرجاع التماسك للتقدم

ثم انتبهت إلى أن الحياة هي النبض الحركة فى مقابل أن الموت هو السكون، فانتقلت من الاقتصار على التركيز فى الدفع إلى الحياة، إلى الاهتمام بمحاولة التحريك (استعادة زخم الحركة) مطمئنا إلى أن الحركة لها تلقائيتها النابضة الكافية لإعلان الحياة ودفعها، وبالمقابل يكون الموت هو السكون، ومن ثم الضمور فالعدم

الاقتصار على التركيز فى الدفع إلى الحياة، إلى اهتمام بمحاولة التحريك (استعادة زخم الحركة) مطمئنا إلى أن الحركة لها تلقائيتها النابضة الكافية لإعلان الحياة ودفعها، وبالمقابل يكون الموت هو السكون، ومن ثم الضمور فالعدم.

3- ثم تصالحت مع الموت، ووصلنى كيف يمكن أن يكون نقلًا من الوعى الشخصى إلى الوعى الكونى، وأنه "إعادة ولادة"، وأنه "أزمة نمو"، فوجدت أن هذه الرؤية الجديدة تنفى عن الموت سكونه وعدميته بشكل أو بآخر، فبدأت تحفظاتى تجاه الاطمئنان إلى أن الحياة هي الحركة الطبيعية فى ذاتها باعتبار أن الموت قد يكون كذلك.

4- وحين تيقنت أن الحركة وحدها قد تعنى الحياة، رحلت أحاول رصد خداعات الحركة اللاحياة: فثم حركة فى المحل، وثم حركة دائرية مغلقة تنتهى حيث بدأت، فهى حركة زائفة فى النهاية، وثم حركة هي "إعادة النص" وهى تتدخل فى بعضها البعض، وأفادتتى هذه الرؤية فى أن أنتبه إلى أن الحركة إنما تمثل الحياة من خلال شرط ارتباطها بالإيقاع الحيوى النابض، الذى تكون محصلته إيجابية حين يكون البسط تشكيلا للامتلاء، وليس مجرد تفريغ لما امتلأ به.

5- ثم أضيف إلى ذلك بُعد متداخل، هو حتمية "برنامج الدخول والخروج in - and - out program باعتبار حركية مكملة لدفع زخم الحياة، شريطة أن يكون ذراع الخروج أرحب وأكثر امتدادا من الدخول (ولو قليلا) مع كل دورة، أو على الأقل مع محصلة الدورات.

6- ثم امتدت رؤيتى لمدارات متمادية الاتساع حتى ترابطت حركية الحياة البشرية مع كل حركة حياة فى دوائر تتولد من بعضها البعض إلى ما بعدها: حياة الطبيعة، فحياة الكون، فوصلنى معنى ما هو كد إلى وجه الحق تعالى، فأصبحت الحركة عندى بين الوحدات (البشر) تمثل أعماق ما هو حياة إذا تواصلت مع الحركة نحو المطلق إلى الغيب المفتوح النهاية.

7- وهكذا انتهيت إلى التعرف على ما تيسر من برامج النمو مثل:

(أ) التقدم <==> التقهقر

(ب) التمتع <==> السكون

(ج) البسط <==> الامتلاء

(د) الخروج <==> الدخول

شريطة أن يتواصل كل ذلك إلى:

الامتداد فى، ومع:

\* إيقاع نبض دوائر الحياة فى اتساعها المتمادى، وإبداعها المتجدد.

وبعد

ما هى علاقة كل هذا بالمعالج ونصه البشرى الجارى نقده طول الوقت؟

أعتقد أن هذا الفصل يحدد بشكل تقريبي ما وصلت إليه من خطوط عامة - ليست نظرية خاصة أو إيديولوجيا محكمة- وإنما هي محاولة الكشف عن "مسيرة حياتى" وربما علاقتها بما هي "مسيرة الحياة" وأن هذا - إن صدق - يستحسن أن يصل إلى من يهمل الأمر مرضى ومتدربين وغيرهم ضمن ما هو قراءة "نصى البشرى"

ما أمكن ذلك!

استهلال:

كانت هذه القصيدة هي مقدمة الجزء الثالث فى الديوان وكان عنوانه "غنيوتين" ولكننى فضلت أن أجعلها فصلا مستقلا، كما ذكرت وعلاقتها بالنص البشرى للمعالج هي أنها تكاد تمثل ما انتهيت إليه - تقريبا- عن معنى الحياة (والموت أحيانا)، استلهاما من مهنتى أساسا (وغير ذلك).

تصالحته مع الموت، ووصلنى

\*\*\*

نبدأ بقراءة المتن:

- 1 -

الحياة هي الحياة.

أغلى حاجة فيها هي: إني عايش.

باترجف من خطوتى الجايئة، ولكن:

باترعب أكثر لو انى فضلت ساكن

كل ما أشك ف خطاى،

ألتفت ما لقاش وراى

إلا إنى،

وسط كل النا □ باغنى

يعنى بابنى،

أنا وابنى.

واللى مش ممكن حايلخص بيه وبيا.

يبقى غيرنا يكمله.

\*\*\*

شرح على المتن

بصراحة، مازالت عندى مقاومة شديدة لكتابة شرح على متن هذه القصيدة بشكل خاص، ومع ذلك فأنا

مضطر، مادامت الورطة مستمرة، فلتتم بما يمكن، والسلام.

إذا وصلنا أن الحياة هي الحياة، فهي □ تحتاج إلى مزيد من شرح، لكن ما دمنا في مجال استغلال

المتن، للدخول إلى بعض ما يعيننا في مهنتنا، وبالذات في موقف العلاج النفسى، فلتستمر المحاولة ضد كل مقاومة.

المرض النفسى، كما كررنا مرارا، هو توقف مؤلم، أو منسحب، أو متجمد، وكل هذا هو "ضد الحياة"، كما بينا، إذن يمكن أن نتصور أن العلاج، والعلاج النفسى ضمنا هو "إحياء" بكل معنى الكلمة،.. "ومن أحيائها، فكأنما أحيانا □ جميعا"، إذن قد يجدر بالطبيب النفسى، والمعالج النفسى، أن تكون عنده بعض ملامح عن ماذا يعنى بالحياة، ما دامت وظيفته هي الإحياء، شريطة أن ينسى أن لديه شخصياً نفس الفرصة لتتشط الحياة فى نفسه من جديد، حتى وإن كانت نشطة، أو يتصور أنها نشطة بشكل ما، إلى درجة ما (ما دام نصه البشرى يشارك إيجابيا فى عملية النقد البيئشخصى)!

الحياه هي الحياة

أغلى حاجه فيها هيّا:

" إنى عايش "

لا يوجد تفسير للحياة إلا أنها الحياة.

كثيرا ما طرأ على مريض هذا السؤال: ماذا على أن أقرر الآن؟ فأجندنى أطر نفس السؤال على نفسى دون أن أدري، وقد كنت أرد على كثير من مرضاى، دون تجاوز الأمور الحياتية اليومية التى علينا أن نقررها سويا، أو يقررها هو مؤتتسا بعلاقتنا (حتى □ يزعل الخواجات)، كثيرا ما كنت أجد نفسى أقول له (ولنفسى)

عليك أن تقرر: "إما أن تحيا، وإما □"، ولم أكن أقول عادة "إما أن تحيا وإما أن تموت"<sup>(12)</sup>، خشية

أن أثير عنده هذا الاحتمال وكأنه بديل حقيقى، أو بصراحة: لأننا عادة ما يكون انطلاقنا - ونحن □

كيفه يمكن أن يكون نقلة من الوعي الشخصى إلى الوعي الكونى، وأنه "إمادة ولادة"، وأنه "أزمة نمو"، فوجدت أن هذه الرؤية الجديدة تنهى عن الموت سكونه وعمديته بشكل أو بآخر، فبدأت تحفظاتى تجاه الاطمئنان إلى أن الحياة هي الحركة الطبيعية هي ذاتها بالمعيار أن الموت قد يكون كذلك

حين تيقنت أن الحركة وحدها قد لا تعنى الحياة، رحبت أحاول رصد خدام الحركة الاحياء: فثم حركة فى المعدل، وثم حركة دائرية مغلقة تنتهى حيث بدأت، فهي حركة زائفة فى النهاية

أن الحركة إنما تمثل الحياة من خلال شرط ارتباطها بالإيقاع الحيوى النابض، الذى تكون محصلته إيجابية حين يكون البسط تشكيبا للامتلاء، وليس مجرد تفريغ لما امتلأ به.

حتمية "برنامج الدخول والخروج" in - and - out program باعتباره حركة مكتملة لدفع زخم الحياة، شريطة أن يكون ذراع الخروج أرحب وأكثر امتدادا من الدخول (ولو قليلا) مع كل دورة، أو على الأقل مع محطة الدوران

اهتمامه رؤيتى لمداواته

ندرى - هو من أن عمق مهنتنا هي أنها تسهم في فن الإحياء، حتى إحياء الموتى، (بفضل الله، والفن العلاجي/العلم/النقد).

أعلى شيء في الحياة هو أن نعيشها:  
“أعلى حاجة فيها هيًا: إنى عايش.”

□ نُقيِّم الحياة بما يملؤها من مكاسب، أو ملذات، أو أملاك، أو حتى قيم، وربما إنتاج، “الحياة حياة” قبل كل هذا وبعد كل هذا، وأسألوا كل من قبلنا من أجدادنا الأحياء الأخرى!

نتعلم من أجدادنا من ملايين السنين أن هدف الأحياء الأدنى (التي كثيرا ما أشعر بالخجل حين نصفها أنها أدنى) هو “أن تبقى”، بلا أى سبب □ حق في حدود دوائر وعيها، العصفور □ يبقى في عشه حيا، لأنه عش جميل، أو ملجأ من المخاطر تحديدا، و□ يبقى الأسد حيا، لأنه ينتظر من السيدة حرمه اللبوة أن تقوم بتمشيط شعر لبدته قبل اللقاء السعيد، العصفور والأسد يعيشان الحياة أولًا، ثم تُملأ الحياة بما تستحق أن تُملأ به، فيبقى النوع، ويقاوم □ تقراض جيلا بعد جيل .<sup>[31]</sup> فإن فشل أى نوع منها في تلك المهمة فقد اختار □ تقراض وليس فقط الموت فرداً.

حين تتحرف المسيرة، وتصبح الحياة “مضمون ما تحوى”، وليست “توجُّه وحركية ما تُفرز بما هي ليخلق الآتى”، حين يحدث ذلك: يصبح التهديد بال□ تقراض أقرب!

منذ اكتسب الإنسان الوعى بالوعى، أصبح يقيس الحياة، ويخطط لها، ويحسب ميررات استمرارها، بمقاييس منحازة إلى منطِقِه الظاهر، وليس إلى كلية وجوده طولًا وعرضًا، وأيضا را□ يقيسها بمقاييس من خارجها، بعضها من صنعه، ليست كلها لصالحه.

الحياة يلزمها بداهة نسيج متين من البنية الأساسية كى تنبض، لكن □ ينبغي أبدا أن يحل هذا النسيج التحتى مهما كان ضروريا محلها برغم أنه من أساسياتها، أو من شروطها، أو من ضروراتها... إلخ. تظل مجرد حقيقة “أنى أحيًا”، هي الحقيقة البائدة التي لو امتلأنا بها، وأمکن أن نبعثها في مريضنا، لأصبحت نقطة انطلاق واعدة منفتحة.

يبدو أن حياتنا المعاصرة قد أنستنا هذا تماما، أو غالبا، أو إلى حد كبير، لو أحسنت الإنصات إلى صوت عصفور الكناريا على فرع شجرة، لوجدته يردد نفس هذين البيتين:

الحياة هي الحياة

أحلى حاجة فيها، هيًا:  
“إنى عايش”

ما رأيك لو نتوقف عند هذا المقطع، ونحاول أن نرده لعلنا نصدِّقه بما هو، دون إبداء أسباب (يمكن أن تفعل ذلك وأنت تسمع غناء هذا العصفور بعد أن تنزل صوت غنائه من جوجل!! أو اليوتيوب (لست متأكدًا) الصوت موجود فعلا: حاول)

هيا نجرب:

.....

الحياة هي الحياة

أحلى حاجة فيها، هيًا:  
إنى عايش

.....

الحياة هي الحياة

أحلى حاجة فيها، هيًا:  
إنى عايش

متماذية الاتساع حتى ترابطه  
حركية الحياة البشرية مع كل  
حركة حياة هي دوائر تتولد  
من بعضها البعض إلى ما  
بعدها: حياة الطبيعة، فحياة  
الكون

وطنى معنى ما هو كحج إلى  
وجه الحق تعالى، فأصعبه  
الحركة عندي بين الوجدان  
(البشر) لا تمثل أعماق ما هو  
حياة إلا إذا تواصلت مع  
الحركة نحو المطلق إلى الغيب  
المفتوح النهاية.

المرض النفسى، كما كورنا  
مرارا، هو توقف مؤلم، أو  
منسحب، أو متجمد، وكل هذا  
هو “ ضد الحياة

يمكن أن نتصور أن العلاج،  
والعلاج النفسى ضمنا هو  
“إحياء” بكل معنى الكلمة.  
“..ومن أحيائها، فكأنما أحياء  
الناس جميعا

الحياة هي الحياة  
أحلى حاجة فيها هيًا:  
“إنى عايش”  
لا يوجد تفسير للحياة إلا أنها  
الحياة

عليك أن تقر: “إما أن تحيا،  
وإما لا”، ولم أكن أقول عادة  
“إما أن تحيا وإما أن

تمويه [2]، خشية أن أثير  
مخذه هذا الاحتمال وكأنه  
بدليل حقيقي

.....

وهكذا!..

ثم هيا:

لكي يكون الإنسان بشراً عليه أن يعيش جدل الوعي مع وعى آخر، وعى بشرى أيضاً، بل أكثر من وعى فى كل فرد، ومع عموم الناس. يبدو أن القصيدة التى نحن بصددھا تنبھنا إلى ذلك بشكل سريع قبل أن ننسى، فبمجرد اختيار الحياة نجدنا بين الناس هكذا:

الحياه هيا الحياة

أغلى حاجه فيها هيا:

“ إنى عايش ”

وسط ناسنا الطيبين

حتى ناسنا النُص نُص

هما برضه أحلى نا □: طيبين

ما انا منهم،

يبقى لازم زئهم،

حلو خالص

بس انا برضه بلاقينى ساعات كدا نُص نُص،

قلت أتعلم، وأُص

إذن: لا تكون الحياة حياة بشرية إلا بين النا □.

فى العلاج النفسى الفردى الصحيح، يعتبر المعالج ممثلاً لمن هو “آخر” بالأصالة عن نفسه والنيابة عن الناس، هذا مفهوم آخر غير المفهوم الذى يؤكد عليه التحليل النفسى التقليدى، حين يهتم أساساً بالتركيز على “الطرف” والتداعى الحر والتنفيث. إن لم يتم من خلال العلاج تهيئة وتنمية العلاقة مع جماعة صغيرة، (أسرة مثلاً)، ثم مع بعض الناس ثم مع كل الناس، فهو علاج تنفيثى محدود غالباً. هكذا يعلن المتن من البداية أن الحياة □ تكون حياة □ وسط ناسنا الطيبين.

من خبرة العلاج الجمعى:

أتاحت لى خبرتى فى قصر العينى مع مرضى العلاج الجمعى خاصة، أن أعرف، وأتعرّف على عينات من ممثلى الشعب المصرى الحقيقى عاماً بعد عام، أعنى الشعب المصرى: التاريخ، الشعب المصرى الطبيعى، الشعب المصرى “هنا والآن”.

أنا أمارس العلاج الجمعى المجانى فى قصر العينى منذ سنة 1971 مع مرضى من الشريحة الأقل قدرة من الطبقة الوسطى والدنيا، من الطبقات الأفقر والأكُد□، تعلمت من هؤلاء البشر معنى الطيبة المصرية الحقيقية “وسط ناسنا الطيبين”، وهم يعطون الموافقة الطيبة بكل ترحيب أن يجلس معنا فى نفس قاعة العلاج، فى دائرة أوسع، كل من يرغب فى التعلم والتدريب لمشاهدة الجلسة العلاجية بشروط شديدة اليسر، كما يقبل أفراد المجموعة الطيبون التصوير بالصوت والصورة، خدمة للعلم والمتعلمين قصرياً، الطريقة التى أمارس بها هذا العلاج علانية مع إمكانية التدريب ودوام التسجيل استمرت حتى الآن أكثر من أربعين عاماً ومازالت مستمرة:

تجتمع عينة ناسنا الطيبون (من 8-14 فرد) بشكل منتظم كل أسبوع فى يوم محدد (الأربعاء الآن) الساعة 7.30 صباحاً ولمدة ساعة ونصف، □ نحدد اختياراً معيناً للسن أو التشخيص أو الشخصية، اكتشفت وأنا أكتب هذا الشر □ الآن أن الذى شجعنى على □ استمرار طوال هذه السنين هو أن: “ناسنا طيبون” بالمعنى البسيط العميق، وليس بمعنى □ استسهال أو السطحية أو التقويت، يبدو أن هذه الطيبة

نتعلم من أجدادنا من ملايين  
السنين أن هدفه الأحياء  
الأدنى (التى كُثيراً ما أشعر  
بالخجل حين نصفها أنها أدنى)  
هو “أن تبقى”، بلا أى سبب  
لاحق فى حدود دوائر وعيها

حين تنحرف المسيرة، وتصبح  
الحياة “مضمون ما تحوى”،  
وليس “توجّه وحرية ما تُفرز  
بما هى ليتخلق الآتى”، حين  
يحدث ذلك: يصبح التهديد  
بالانقراض أقرب!

منذ احتسب الإنسان الوعى  
بالوعى، أصبح يقيس الحياة،  
ويخطط لها، ويحسب مبررات  
استمرارها، بمقاييس منجازه  
إلى منطوقه الظاهر، وليس إلى  
كلمة وجوده طولاً ومعرضاً،  
وأيضاً راح يقيسها بمقاييس من  
خارجها، بعضها من صنعها،  
ليس كلها لصاله

لكى يكون الإنسان بشراً عليه  
أن يعيش جدل الوعى مع وعى  
آخر، وعى بشرى أيضاً، بل  
أكثر من وعى فى كل فرد،  
ومع عموم الناس

فى العلاج النفسى الفردى

الصحيح، يعتبر المعالج ممثلاً لمن هو "آخر" بالأطالة عن نفسه والنيابة عن الناس، هذا مفهوم آخر غير المفهوم الذي يؤكد عليه التحليل النفسي التقليدي

ربما الذي يجعل العلاج الجمعي ذا فاعلية في ثقافتنا المتواضعة هو أن هذا الجزء الطبيب (العام المشترك) يتحرك من داخل المعالين مثلما هو من داخل المتعالين: ليساهم في تكوين الوعي الجمعي (الخاص) المشترك المشارك

يمكن أن يقيس المعالج مدى لياقته لهذا النوع من العلاج بمدى تلقائية أدائه أثناء العلاج من جهة، وبعده إرهابه منه بأي درجة من جهة أخرى

العامل العلاجي الأهم هو تخليق هذا الوعي الجمعي المشترك الذي يجمع أفراد المجموعة إلى بعضهم، فينتمون إليه، فيرتد إليهم بعالمهم، كما خلقهم بهم، فهم "أحلى ناس"، وليسو "أحلى الناس"، وما يخرج بشكل طبيعي، هو طبيعي، فمن أين يأتي الإرهاب؟

هذه البداية هي المدخل في العلاج الجمعي الذي هو ليس إلا "نموذجاً" للحياة البشرية معاً، وهي المدرسة التي

معدية، ومهما كان ظاهر الأعراض، ومهما كان اسم التشخيص، ومهما كان نوع الشخصية، فإن وعياً جمعياً يتكون فيما بيننا من أول جلسة وينمو باضطراد حتى نهاية العام) مدة التعاقد للعلاج هي عام كامل: اثنا عشر شهراً)

قلت حان إن هذه الطيبة معدية، لكن التعبير الأصح هو أن أقول إنها "قادرة على أن تستخرج ما يقابلها" "خلقة ربنا" من كل فرد من أفراد المجموعة، فهي ليست سمة أو صفة تنتقل من فرد إلى فرد (معالج أو مريض) بقدر ما هي حقيقة بادئة تتحرك منا بمثير صدق النقائنا، فيتحرك فينا ما هو "نحن" ثم نتجمع وسط دائرتنا إذ يتخلق منا وعي جماعي جاهز للتواصل مع "الوعي الجمعي Collective" Consciousness [4].

ربما الذي يجعل العلاج الجمعي ذا فاعلية في ثقافتنا المتواضعة هو أن هذا الجزء الطبيب (العام المشترك) يتحرك من داخل المعالين مثلما هو من داخل المتعالين: ليساهم في تكوين الوعي الجمعي (الخاص) المشترك المشارك.

ليس في الأمر خصوصية للشعب المصري، فهذه الطيبة التي أتحدث عنها تصلني من ناسي لأنني منهم، وهي أقرب إلى ما أسميناه "الفطرة"، فالأرجح أنها هي أصل ما هو "ربي كما خلقتني" ونلاحظ أن المتن ينبها أن هذه الطيبة موجودة في الطبيين ظاهراً، وحتى في الذين أخفتها دفاعاتهم وكأنهم غير ذلك، أو حتى أنهم "تصف نصف".

في خبرتي مع طول عمر الممارسة مع المجموعات المتتالية التي يزيد عمر الواحدة منها عن عام واحد: وجدت أن هذا "العامل المشترك" الذي نسميه طيبة "المصري" (ومثله) هو هو "الحلاوة" التي نصف بها الحياة طول القصيدة، هذه الحلاوة بدت في وصف ناسنا الطبيين حتى "النص نص" منهم بأنهم: أحلى ناس! طبيين.

بنفس الآلية تتم تعتة نفس هذه المنطقة عند المعالج، "عندي" مثلاً، فأنا أعلن من البداية، مع تمام مسؤوليتي "أن ما يسرى على المرضى يسرى علي"، فتتشت عني - في الأغلب - نفس المنطقة "الطبية الجماعية المسؤولة" (لحظ أضفنا لفظ "المسؤولة" هنا.)

انتماء المعالج هكذا إلى هذه المنطقة المشتركة بنفس الشروط ليتصف بأى قدر من التواضع أو التنازل، بل إنه يعطى للمعالج قيمة أخرى: أنه واحد من الناس مع اختلاف جرعة الخبرة والمسؤولية.

يمكن أن يقيس المعالج مدى لياقته لهذا النوع من العلاج بمدى تلقائية أدائه أثناء العلاج من جهة، وبعده إرهابه منه بأي درجة من جهة أخرى، لأن العامل العلاجي الأهم هو تخليق هذا الوعي الجمعي المشترك الذي يجمع أفراد المجموعة إلى بعضهم، فينتمون إليه، فيرتد إليهم بعالمهم، كما خلقهم بهم، فهم "أحلى ناس"، وليسو "أحلى الناس"، وما يخرج بشكل طبيعي، هو طبيعي، فمن أين يأتي الإرهاب؟ فإذا كان تحريك هذه المنطقة تجعلنا نرى أنفسنا "أحلى ناس" فإن المعالج حين يرى نفسه أحد هؤلاء الـ "أحلى ناس" يكتشف أنه أيضاً "حلو خالص.."

إذن فصفا المبالغة "أحلى، والإطلاق "خالص" تشير إلى تفضيل فوقي لأنها تقر أن سمة أو صفة الحلاوة هي أيضاً صفة ناسنا العاديين جدا حتى ناسنا "النص النص"، كذلك المعالج ليس إلا شخصا من هذا النسيج نفسه الذي: "أحياناً يكون نص نص"، وذلك ينقص من حلاوته، كما ينقص من حلاوة الناس.

بس انا برضه بلاقيني ساعات كذا: نُص نُص

تكرار وصف الحياة في هذه القصيدة بالحلاوة "الحياة الحلوة حلوة" ثم ما تكرر هنا "أحلى ناس" و"حلو خالص"، هو وصف قريب مما أريد توصيله لمعنى "خلقة ربنا"، التي هي الأقرب لما يتخلق بنا معاً، وربما هو ما نطلق عليه: "الوعي الجمعي".

اللفظ الآخر الذي يوصل بعض ما يجري هو لفظ "الفرحة"، وكل من لفظ "الحلاوة" ولفظ الفرحة هو

الأقرب إلىّ جدا من ألفاظ "السعادة" و"الراحة" وحتى "الطمأنينة" وهي الألفاظ التي يصر أغلب المرضى على طلبها أو على الأقل السؤال عنهما، كما يصر أغلب النفسيين على تسويقهما، وسوف نعود إلى ذلك. هذه البداية هي المدخل في العلاج الجمعي الذي هو ليس إلاّ "نموذجاً" للحياة البشرية معاً، وهي المدرسة التي تعلمت وأتعلّم فيها ومنها جوهر الحياة:

قلت أتعلّم، وأبص.

حركية الحياة، وحتم التواصل للاستمرار

حركية الحياة تمتد إلى حركية الموت، حتى الموت الحقيقي هو بعض مراحل حركية الحياة من بُعد معين. قد يسكن السطح فيخدعنا الركود، لكن تظل الحياة تتحرك داخلنا تحت هذا السطح الراكد رغما عنا. الموت، كما وصلني مؤخراً، كمنقلة من الوعي الشخصي إلى الوعي الكوني، وهو أزمة نمو، فهو حركة، فهو حياة. هذه الحركية ليست خطية، وليست دائرية، وليست لولبية، وليست أمامية، وليست خلفية، هي كل ذلك في تكامل وتناوب وإيقاع حيوي متصل.

.....

.....

ونواصل الأسبوع القادم استكمال قراءة الفصل الرابع: عن "ماهية الحياة"

- [1] يحيى الرخاوي: (2018) سلسلة "فقد العلاقات البشرية" (4) (عبر ديوان: "أغوار النفس" ("قراءة في نقد النص البشري للمعالج"، الناشر: جمعية الطب النفسي التطوري - القاهرة).
- [2] وطبعاً أكون ساعته حذر أن يصل السؤل "إما أن تحيا أو تنتحر" وأنا أتذكر أغنية ثريا حلمي في الأربعينيات "ياللى الحالة تعبك: الدنيا لس بخيرها، وان كانت ماهيش عاجباك ما تسبها و تشوف غيرها مادام بتنكر خيرها
- [3] مرة أخرى واحد فى الألف من كل الأحياء هو الذى نجح فى هذا الامتحان.
- [4] وليس فقط "اللاشعور الجمعي" الذى قال بـ يونج Collective Unconsciousness.

إرتباط كامل النص مع المقطعات:

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD091223.pdf>

إرتباط كامل النص

<https://rakhawy.net/%d9%81%d9%82%d9%87-%d8%a7%d9%84%d8%b9%d9%84%d8%a7%d9%82%d8%a7%d8%aa-%d8%a7%d9%84%d8%a8%d8%b4%d8%b1%d9%8a%d8%a9-%d8%b9%d8%a8%d8%b1-%d8%af%d9%8a%d9%88%d8%a7%d9%86-%d8%a3%d8%ba-10/>

## - شبكة العلوم النفسية العربية -

نحو تعاون عربي رقبيا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي

<http://www.arabpsynet.com/>

المتجر الإلكتروني

<http://www.arabpsyfound.com>

الكتاب السنوي 2021 لـ "شبكة العلوم النفسية العربية" (الاصدار العاشر)

الشبكة تدخل عامها 21 من التأسيس و 19 على الوجود

21 عاماً من الضح... 19 عاماً من الإنجازات

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf>

حركية الحياة، وحتم التواصل للاستمرار  
حركية الحياة تمتد إلى حركية الموت، حتى الموت الحقيقي هو بعض مراحل حركية الحياة من بُعد معين. قد يسكن السطح فيخدعنا الركود، لكن تظل الحياة تتحرك داخلنا تحت هذا السطح الراكد رغما عنا.

الموت، كما وصلني مؤخراً، كمنقلة من الوعي الشخصي إلى الوعي الكوني، وهو أزمة نمو، فهو حركة، فهو حياة. هذه الحركية ليست خطية، وليست دائرية، وليست لولبية، وليست أمامية، وليست خلفية، هي كل ذلك في تكامل وتناوب وإيقاع حيوي متصل